

قراءة في كتاب "النهائي الجديد" لفيلسوف العلوم ريموند روير

Reading in a book of: "Neo finalism" for philosopher of science Raymond ruyer

صباح بوكولة

جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري

مخبر: فلسفة العلوم الإنسانية

sababhboukeloua@gmail.com

إشراف الدكتور: محمد بن سباع

جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري

Bensebaa mohamed@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/04/11

تاريخ الاستلام: 2021/02/21

ملخص:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى قراءة كتاب بعنوان "النهائي الجديد" لفيلسوف العلوم الفرنسي "ريموند روير"، الذي يتناول فيه الفيلسوف مشكلة النهاية بمنطق لاهوتي، لكن بقراءة جديدة تختلف عما ساد في العصور الكلاسيكية، معتمدا في ذلك على أحدث نتائج العلم الحاصلة في القرن العشرين. ارتكز مشروع ريموند روير الميتافيزيقي على تناول قضية الإله من حيث المعنى وليس من حيث وجوده كما كان في العصور الكلاسيكية، مما قاده إلى تحديد هذا النهائي على أنه يتميز بالتعدد المتضمن في الوحدة، وهي الوحدة التي أسماها بالـ مجال الوجودي المطلق الذي يتميز بالتدرج، فيتدرج ليصل إلى الأعلى وهو عالم الجواهر والقيم، وينزل إلى الأسفل ليصل إلى عالم الكائنات والمادة.

الكلمات المفتاحية: النهائي؛ الكون؛ الكائنات؛ المجالات المطلقة؛ القيمة.

Summary :

Through this study, we aim to read a book entitled 'neo finalism' by the French philosopher of science Raymond ruyer, in which the philosopher deals with the end with a theological logic, but with a new

teaching that differs from what prevailed. In classical eras depending on the latest finding of science in the twentieth century, Raymond ruyer s methphysical project was based on addressing the issue of god in terms of meaning and not in terms of his existence. As in classical times, which led him to define this final as characterized by the multiplicity contained in the unit. It is the unit tgat he called the absolute unitary sphere, which is characterized by gradual progression to reach the top and the world. of gems and values, and down to the bottom to teach the world of beings and matter.

Keywords: ultimate, universe, organisms, absolute domains, value.

مقدمة:

شهدت فلسفة العلوم التي تأكد دمجها في بوتقة واحدة في النصف الأول من القرن العشرين، جملة من التطورات التي يمكن أن نجملها في ثلاثة مجالات كبرى هي: الرياضيات والفيزياء والبيولوجيا (علم الأحياء) حيث عرفت هذه العلوم تغييرات حاسمة أظهرت أزمة في مجموعة المفاهيم والتصورات الخاصة بالإنسان والعالم والله.

كان الاعتقاد السائد في الفيزياء الحديثة عند علماء الفيزياء وعلى وجه الخصوص إسحاق نيوتن 1643-1727 Issac newton يتلخص في ثلاث أفكار أساسية، هي القول بمطلقية مفاهيم الزمان والمكان والحركة، وهي مفاهيم ظلت تُعتبر الحقيقة المطلقة على طول القرون الحديثة، إلا أن هذه المفاهيم أثبتت عدم فعاليتها، وكان ذلك بسبب التطورات التي حدثت في مجال الفيزياء في بداية النصف الأول من القرن التاسع عشر والتي: "أظهرت أن الطبيعة لا تسير وفقا للقوانين الميكانيكية التي وضعها الفيزياء الكلاسيكية، وكان هذا إيذانا بدحض التصور الميكانيكي للكون، ثم كانت الضربة القاصمة التي لحقت بالفيزياء الكلاسيكية وبمفاهيمها" وقد كان ذلك بفضل الأعمال التي قدمها عالم الفيزياء ألبرت أينشتاين 1879-1955 Albert Einstein والتي أوثق أحكامها ضمن إطار نظرية عُرفت "بالنظرية النسبية" وهي التي تنقض مفاهيم الزمان والمكان

المطلقة وتقول بنسبيتها مما أحدث فجوة في الفيزياء الحديثة أسفرت عن أزمة عميقة أخذت تكشف عن وجه آخر من الفيزياء هو الفيزياء الكمية (ميكانيكا الكم) والتي تأسست بفضل النظرية النسبية الخاصة بأينشتاين، وكشفت أنّ المادة في حركة مستقرة ومتغيرة وليست ثابتة، كما اشتغلت الفيزياء الكمية على مفاهيم الطاقة والموجات والحرارة والذرة، وهي أبحاث و تجارب قام بها عدد من المفكرين أمثال كارل هايزنبارغ karl heisenberg 1901_1976 ماكس بلانك Max plank 1858_1947. لقد أعلنت الفيزياء المعاصرة عن التناقض في المفاهيم والثوابت التي كانت معارف مسلماً بها ومثبتاً صدقها وأحقيتها.

أما على مستوى البيولوجيا (علم الأحياء) فهي الأخرى شهدت تطورات عديدة واكتشافات قادت إلى إحداث تغيير في التصور البيولوجي. كانت النتائج التي توصل إليها عالم الأحياء تشارلز داروين 1809 - 1882 Charles darwin تُقر أنّ الإنسان ينتمي إلى سلالة القردة، وأنّ التطور هو مبدأ أو قانون تخضع له جميع الكائنات الحية وغير الحية، مما يعني أنّ الإنسان عرف خلال تواجده على هذه الأرض عدداً من التطورات إلى غاية وصوله على هذه الهيئة، وهو النوع المعروف بالإنسان العاقل. كما أكد داروين فكرة الانتقاء الطبيعي والبقاء للأصلح بين الكائنات، لكن هذه المفاهيم لم تسلم من التغيير الذي شهده العالم في القرن العشرين، فما تم كشفه على مستوى الهندسة الجينية والحمض النووي الذي بدأت معالم فك شيفراته في منتصف القرن العشرين قد غيرت العديد من المفاهيم والتصورات التي كانت مؤسّسة على الإنسان، مما قدم العديد من الآمال لعلّ أبرزها السعي إلى تحسين النسل الخاص بالنوع البشري من خلال التخلص من الموت والشيخوخة و المرض وغيرها.

إنّ ما يميّز هذه النقلة النوعية في العلوم والفكر في القرن العشرين هي قضية الميتافيزيقا والتي تعد قضية الإله فيها المحور والأساس، حيث عرفت الفترة الحديثة سيطرة المادة وإهمال العقل (الوعي) وخروج الروح، إلّا ما تعلق ببعض

الاتجاهات والمذاهب، لكن مع بروز وتطور العلوم عامة والفيزياء والبيولوجيا (علم الأحياء) وعلم النفس كذلك، فقد سعت ثلة من العلماء إلى إعادة الميتافيزيقا إلى قلب النقاشات الفلسفية، فنجد من بين هؤلاء عدداً من الفلاسفة والعلماء الذين تدارسوا وناقشوا وضع فلسفة العلوم معتمدين على أحدث نتائج العلوم المعاصرة، ومن بين هؤلاء: جورج كونغيلام 1904 - 1995 Georges canguilhem وريمون روير 1902 - 1987 Raymond ruyer على الرغم أنّ كل واحد منهما تخصص في فلسفة العلوم، إلا أنّ كل واحد منهما انفرد بأسلوبه في الطرح ودراساته، وقد ارتكزت الدراسة هنا على فيلسوف العلوم الفرنسي ريمون روير لكونه انفرد بطرح مختلف و متميّز يعبر عن فكره لتحديد موقفه من علاقة العلم بالميتافيزيقا، وكذلك لمعرفة جملة الأفكار والمفاهيم التي أراد بلورتها ضمن مشروع الميتافيزيقا كاملاً وشاملاً، لذلك سنتخذ كتابه "النهائي الجديد" موضوعاً لهذه الدراسة، نحاول الإجابة على ما هي مقومات البناء الميتافيزيقي المؤسس على ضوء نتائج العلم المعاصر؟ وما أهم المفاهيم التي سعى إلى نحتها وبلورتها ضمن هذا المشروع؟

أولاً - بطاقة الكتاب:

اسم المؤلف: ريموند روير raymond ruyer

عنوان الكتاب: النهائي الجديد

عدد الطبعات: الطبعة الأولى، الطبعة الثانية

دار النشر: غاليمار

بلد النشر: فرنسا

سنة النشر: 1952، 2012

حجم الكتاب: الحجم متوسط

عدد الصفحات: 272 صفحة

دوافع اختيار الكتاب: يعود لدافعين:

1 نموذج الدراسة (ريموند روير) غير مدروس في الوطن العربي. كما أن الاهتمام الغربي بفكره في السنوات الأخيرة كان دافعا أيضا

2 لأنّ هذا الكتاب "النهائي الجديد" يجمع بين أمرين، أولهما أنّه يعبر عن إبداع فكري جديد أتى به ريموند روير، كما أنّه يلخص أهم أفكاره ويعرض المفاهيم الجديدة الخاصة به في هذا الكتاب.

التعريف بصاحب الكتاب:

ريموند روير: فيلسوف فرنسي من القرن العشرين، وقد: "ولد عام 1902 بـلينفينج وتوفي عام 1987 بنانسي في فرنسا، تخرج من المدرسة العليا ثم عمل أستاذاً للفلسفة من عام 1946 إلى 1972 في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نانسي ومراسلاً لمعهد فرنسا. ألف ريموند روير اثنين وعشرين كتاباً وحوالي مئة وخمسة عشر مقالاً منشوراً في المجلات المتخصصة. قدم أطروحة دكتوراه في الفلسفة عام 1930 بعنوان "رسم تخطيطي لفلسفة الهيكل" وأطروحة دكتوراه تكميلية بعنوان "إنسانية المستقبل بعد كورنو". تعرض للأسر عام 1940 إلى 1945 بالنمسا وهناك التقى بعلماء ومفكرين الأمر الذي قاده إلى تغيير أفكاره الفلسفية، نشر عام 1946 كتاب "عناصر علم الأحياء النفس، وهو الكتاب الذي بدأ يكشف عن توجهاته الجديدة لفلسفته"ⁱⁱⁱ.

منهجية المؤلف: اعتمد على المنهج التحليلي، والمنهج المقارن.

ثانياً - دراسة فصول الكتاب:

يتكون الكتاب من 20 فصلاً:

الفصل الأول: الكوجيتو الأكسيولوجي:

لقد اعتبر ريموند روير: "أنّ القضية المتعلقة بالله هي قضية تتعلق بمشكلة المعنى وليس بمشكلة وجود الله"^{iv}، وليعالج هذه القضية الأنطولوجية حاول أنّ يبيّن زيف الفكرة التي تأسست عليها الفلسفة الحديثة عامة والفلسفة الديكارتية 1596-1650 René descartes (الكوجيتو) والوجودية خصوصاً، وكما

هو معلوم، حاول ديكارت إثبات وجود الذات المفكرة ووجود العالم من خلال الكوجيتو: "أنا أفكر إذن فأنا موجود، يجعلني أثق أنني أقول الحق، إلاّ كوني أرى بكثير من الجلاء لأجل التفكير فالوجود واجب، فحكمت بأنني أستطيع أن أتخذ قاعدة عامة أن الأشياء التي نتصورها تصوراً قوياً الوضوح، هي جميعاً حقيقية، غير أن هناك بعض الأشياء من الصعوبة أن نبين فيها ماهي الأشياء التي نتصورها"^{vi}، أما وجود الله فقد قال: "وعلى ذلك بقي أن تكون هذه الفكرة قد ألقيت إليّ من طبيعة هي في الحقيقة أكثر مني كمالات...، فإن المراد بها الله"^{vi}، وذلك من خلال الاعتماد على الفكر، وهنا اعتمد ريموند روير على النقطة الثالثة، فقد حاول أن ينطلق منها، لكن بكوجيتو أكسيولوجي وليس بكوجيتو ديكارتي، وهي قضية معنى الله وليس وجود الله

لم يكن ريموند روير ينحو منحى الفكر الكلاسيكي، خاصة في قضية الله، حيث إن ما كان يشغله كان يتعلق بقضية المعنى، وبالتالي فإنّه كان على عكس الشك الديكارتي أو الشك الخاص بديفيد هيوم 1711 - 1776 David hume أو النقد الكانطي نسبة لإمانويل كانط 1724 - 1804 Emmanuel kant، أو حتى الفكر الوجودي الملحد من أمثال جون بول سارتر 1905 - 1980 Jean paul sartre الذي أقر أن: "الواقعية الأنطولوجية لا تتفق أبداً مع فكرة الظهور، فما يقيس فكرة الظهور هو أنّه يظهر. ولما كنا قد حصرنا الواقع في الظاهرة فإننا نستطيع أن نقول إن الظاهرة إنّما كما تظهر"^{vii} وهنا يقصد سارتر الوجود الفعلي المتجسد الذي لا يحققه الإله، أو كما عبّر ألبير كامو 1913-1960 Alber camus، عندما اعتبر أن الوجود وجود عبثي ووجود بالصدفة .

ينطلق ريموند روير من التقليد الفرنسي في قضية الحرية، ومن خلالها يتجاوز الكوجيتو الديكارتي إلى الكوجيتو الأكسيولوجي، لكن يُبقي على المستوى النفسي من الكوجيتو الديكارتي. صاغ ريموند روير مفهوم الكوجيتو الأكسيولوجي على أساس معضلة ليكير 1814-1862 Jules lequier وهي عبارة عن فرضيتين: الحرية

أو الضرورة، ليقوم بعدها رونييفيه Charles bernard-1903.1815renouvier على تمديد الفرضيتين إلى اثنتين أخريين، أما ريموند روير، فقد قدم أربعة عناصر، العنصر الأول والثالث يتكونان من أربع أفكار، أما العنصر الثاني والثالث فتتكونان من ثلاث أفكار وهذه العناصر هي:

"1أ. خطأ(في الواقع)، وأكد خطئي.

2. ليس من الخطأ(في الواقع)، وأكد خطئي.

3. خطأ(في الواقع)، خطئي

4. ليس من الخطأ(في الواقع)، خطئي. وهذه الأفكار تتعلق بالذات.

1 2 3

ب افترض أنّ تحدد في الواقع وأكد الحتمية

افترض أنّ تحدد في الواقع وأكد الحتمية

وهي تتعلق بالواقع(الوجود)

1 2 3

ج. افترض فكرة الكمال وهذه الفكرة تدل على وجود الكمال^{viii} وهنا تتعلق بفكرة الله، وهي تفند إثباتية وجود الله من خلال فكرة الكمال، لأنّ الكمال هو في الأساس افتراض لفكرة الكمال فقط، وبالتالي فالكمال لا يقود إلى وجود الفعلي(الله). فقال:

"د. 1. مجموعة نقية من العمليات، وأكد أنّ نشاطي لا معنى له.

2. السعي وراء غايات معقولة، وأكد شكل العبثية في نشاطي.

3. نقي معا.... إلخ، وأكد أنّ نشاطي له معنى.

4 - سعيًا وراء أهداف معقولة، أؤكد أنّ نشاطي له معنى "ix". وهو يتعلق بفكرة المعنى والنشاط، وهما الفكرتان اللتان يحاول ريموند أن يصل إليهما بعد دحض فكرتي ليكر ورونييفيه ونقد فكرة الكمال عند ديكرت، أوب يجب حذف 1 و2 لأنّهما مجرد إعادة، وهما عبارة عن تأكيد ونفي للوجود، وهو في الحقيقة إثبات للوجود والسبب هو أنّ الادعاء في الحالتين يفترض الحرية مسبقاً، أما 3 و4 فإنّ 2 متناقضة. وبما أنّ حجة ليكر ورونييفيه ليست منطقاً بحث لأنّ الخطيئة لا تستبعد التأكيد كما تفعل الحتمية، من هنا جاءت مشكلة التمييز في الكوجيتو الأكسيولوجي بين الباطل والحقيقة. إنّ الحجة الأنطولوجية التي تقول من المتناقض إنكار وجود الله عند الكلاسيكيين أو الكوجيتو الديكرتي المتعلق بإثبات وجود(الله)، وحتى حجة ليكر ورونييفيه، فهي أيضاً تستدعي علاقة مفاهيمية بين الحرية والحقيقة، لكن حسب ريموند روير فإنّ الذات هي من افترضت وبالتالي لاوجود لإله.

الفصل الثاني: وصف النشاط النهائي:

يعرض ريموند روير مفاهيم متعددة تنضوي تحت: "مفهوم الكوجيتو. يعترف الحس السليم واللغة ضمناً بهذه العلاقات الوثيقة: ماذا تريد أنّ تفعل؟ مرادفة لما هو معنى أفعالك؟" x وضمناً هي في الوقت نفسه أننا نتعامل مع كائن حقيقي، ويحاول أنّ يقدم وصفاً لنشاط النهائي فقط، والهدف سيكون ما تقدمه الفصول القادمة من الكتاب، أما المفاهيم فهي باختصار:

1 . الحرية: إنّ الحرية حسب ريموند روير هي الحرية التي تقود إلى الحتمية، وبالتالي فإنّها تعطي معنى لأفعالي كما تحكم عليها بالنجاح أو الفشل، فهي حرية تقوم على الحتمية وليس على التنبؤ.

2 . الوجود: الوجود الذي يقصد ريموند روير يختلف عن الوجود الذي يقول به الكوجيتو الديكرتي لأنّه وجود خادع، فهو يرتبط بالفعل أي بالنشاط، فحتى لو

كان العمل مرتبطاً بالروح، فيجب أن يخرج للوجود ويتجسد فيه، والوجود هو العمل بحرية لتحقيق القيم. وهو وجود يشكل مركز النشاط النهائي.

3. النشاط . العمل: إن مفهوم عمل النشاط هو أمر أساسي من الناحية الميتافيزيقية، إن الكائن الحر هو الكائن الذي يقوم بعمل ويؤدي نشاطاً له معنى، ويحكم عليه بالنجاح أم الفشل.

4. النهاية: إن المعنى والنهاية كلمتان يمكن أن يتبادلا

5. الاختراع: العمل الباطني يفترض أن يوجد شكل معين.

6. القيمة: حسب ريموند روير أن كل عمل يقتضي أن يحكم عليه، يعني إعطاء قيمة للعمل المنجز. إن القيمة هي التي تتأسس عليها أفعالنا، وبالتالي فهي تختلف باختلاف أفعالنا: "قيمة معينة في شكل صافٍ تماماً، أي بدون استعارة أي شيء ملء هذا النموذج من القيم الأخرى"^{xi}

الفصل الثالث: النشاط النهائي والحياة العضوية:

يطرح ريموند روير سؤالاً بخصوص إمكانية عزل الأنا عن جسدها والقيام بطرح سؤال حول نفسه، من هنا يشرع في رفض التحليل الخاص بدلتاي 1833. Willhelm dilthey 1911 وبالفلسفة الوجودية، لينتقل إلى البيولوجيا (علم الأحياء) ليفسر ويبحث من خلالها عن العلاقة بين إمكانية النشاط النهائي في الحياة العضوية، وعلى إثر ذلك قدم مثال الطبخ؛ أي كيفية القيام بالطبخ وكيف أن العضو الممتد (اليد) للمقلدة والأخيرة بدورها موضوعاً على النار، هي عملية دائرية تنطلق من القشرة الدماغية إلى النار، فأطلق على الأولى النهاية الداخلية وعلى الثانية النهاية الخارجية، ليؤكد أن العملية هي عملية بيولوجية بحتة ويمكن القول: "إن التعليق الأكثر ملاءمة هو: "أنا أطبخ إذا أنا موجود:"، يفسح المجال للكوجيتو الأكسيولوجي الطريق للكوجيتو الطبي^{xii}، إن الطبي دلالاته تتعلق بقضية الفعل والممارسة، أي الظهور الفعلي في الوجود.

الفصل الرابع: التناقضات البيولوجية المعارضة للنهائية:

يقسم هذا الفصل إلى ثلاثة عناصر:

أ. ألعاب الفرص العضوية

ب. تنظيم التمثيل الغذائي في الدائرة الخارجية

د. التمويه الحيواني وتطبيق القوانين النظرية الجشطالتيّة

يتكلم ريموند روير في هذا الفصل على علماء البيولوجيا المعادين لفكرة النهائي، ومن بينهم علماء النظرية الجشطالتيّة وقوانينها التي تعتمد على الشكل. يُرجع ريموند روير السبب للمعتقد الديني الذي يصبح كفكرة مسبقة تدحض فكرة النشاط النهائي عند هؤلاء المفكرين، مما يجعل الكشف عن هذا النشاط النهائي بالنسبة لريموند روير أمراً غير منطقي، يمكن أن نقارب فكرة روير هنا بفكرة برغسون التي يمكن أن نجعلها في تفريقه لقضية الفكر والدماع حيث يقول: "كلمة الدماغ تحملنا على التفكير بشيء وكلمة فكر تحملنا على التفكير بالتصور"^{xiii}، ويعني ذلك أنّ الفكر يختلف عن الدماغ عند برغسون، فيُعَيّ الأول (الفكر) بالمشاعر والإرادة والغريزة أما الثاني (الدماغ) فهو ما يتعلق بالأشياء المادية التي ترتب بالمكان.

الفصل الخامس: النشاط النهائي المتأهل والنظام العصبي:

يحاول في هذا الفصل أن يشرح التشابه الكبير بين الإنسان كجسم مادي والآلة، حيث يقول روير: "إنّ الأدمغة والجهاز العصبي هي آلات معلومات"^{xiv} ويقدم على إثر ذلك دقة وصحة النتائج التي تقدمها الآلة الحاسبة إيماناً على أهمية الآلة، فيتوجه بطرح مجموعة من الأسئلة بغية الدراسة والتحليل: "ماهي قيمتها كنماذج للأفعال النفسية والبيولوجية؟ ما هو دورهم في استخدام أو التمديد المحتمل للمعلومات؟"^{xv}، ومنه يتكلم عن الحماس الكبير بين أوساط العلماء المتحمسين لعلم التحكم الآلي والدور الفعّال الذي يعد بالكثير في السنوات القادمة، وهو ما نشهده بالفعل في الفترة الراهنة.

الفصل السادس: الدماغ والجنين:

يتكون هذا الفصل من خمسة عناصر. يستعرض ريموند روير في هذا الفصل دور الدماغ في الذاكرة والاختراع والذكاء، ويقدم على إثر ذلك تجربة لاشلي على الفئران التي أراد أن يعرف من خلالها كيف تكون قواعد السلوك في حالة حدوث أضرار وآفات على مستوى الدماغ، أما التجربة الثانية التي اعتمد عليها ريموند روير فهي لسبدمان والتي كشفت تجربته عن تنظيم لمنظمة الدماغ، كما ناقش فكرة تطور الجنين عند إتيان وولف 1904 - Etienne wolff 1996: "إن تكافؤ الجهد بين الجنين والدماغ يعني علاقة ضمنية، وهي علاقة ميتافيزيقية لأنها تحدث حيث التحقق والموضوعات التي تحقق"^{xvi}. الغرض من هذا الفصل هو إبراز التساوي بين تطور عمل الجنين وعمل الدماغ، كما يستعرض تفسيرات أطباء الأجنة أو أطباء الأعصاب، وكيف يُحجب التساوي الجنيني مع الدماغ، وهي بالنسبة لريموند روير غير مقنعة، لذلك أجمل هذه الأفكار الخاصة بهؤلاء المفكرين في العناصر التالية:

1. تفسيرات كمية: وهو التفسير الذي يميل إلى تقديم شروحات للدماغ والجنين على أنها كتلة كلية، وهؤلاء يُسمَّون بالبيولوجيا الشمولية هذا ما يؤدي إلى حجب التساوي.
2. تفسيرات نفسية (فسيولوجيا عالمية): وهم علماء النفس الذين يقولون إنَّ هناك بعض الحالات النفسية التي تحجب المساواة الجنينية، كحالة الذهول الذهني أو غيرها من الآثار التي تسبب أضراراً على القشرة الدماغية.
3. تفسيرات الجشطالتيّة المحضّة: هي تفسيرات علماء النفس التي تشبه تفسير علماء الأجنة، لكن هذا التفسير يعتمد على الهيكل الذي يحافظ على شكله رغم أنّه يتعرض لفقدان بعض من أجزائه.
4. تفسيرات الاتصالات الخالصة: يتكلم عن الروابط التي تجمع الدماغ وما قبل التكوين في علم الأجنة من منظور همفري

5 . التفسيرات من خلال ارتباطات الجشطات (الشكل): هذا النموذج يجمع التفسيرات السابقة وهو شكل ديناميكي قابل لتحويل يؤدي لتنفيذ الاتصالات. ليؤكد ريموند روير من هذه الإشارات أنّ هناك توازناً وتساوياً بين تشكّل الجنين ونمو أعضائه، وبين تطورات الدماغ معتمداً في ذلك على نتائج عماء الوراثة وعلم الأجنة وعلم الأعصاب وعلم النفس الحديث.

الفصل السابع: معنى المعدات:

كما اتضح في الفصول السابقة والفصل الخامس بالتحديد حول النظرية الثنائية التي ترى أنّ الجهاز العصبي يعمل بطريقة ازدواجية أي مستقبل ومُستجيب، ويحمل المساواة: " إنّ الدماغ هو جنين لم ينته من النمو، كما أنّه يكون مرتبطاً بحقل المعاني بطريقة مباشرة (القيم)، أما الدماغ الذي يحمله الكائن الحي البالغ يُبقي المنطقة الجنينية على الاتصال بالمجال غير المرئي في حين بقية الكائنات الأخرى تفقد هذا الاتصال مع وجود استثناءات، وهذا الدماغ هو عضو نقل للنشاط النهائي - إذا كان هناك نشاط نهائي - فمن الواضح أنّه ليس عضواً^{xvii}، الدماغ عضو يختلف عن بقية الأعضاء لكونه لا يقوم بمهمة واحدة مثل الرئة والكلية التي تقوم بمهمة ميكانيكية واحدة، كما أنّه ليس أداة لتكون واعية أو ذكية أو تخرع أو تحفظ، بل هو عضو غير مكتمل، وشبكة مفتوحة دائماً، وتحافظ على المساواة لمعرفة النشاط الجنيني من خلال تطبيقه على تنظيم العالم، أما الجنين فهو دماغ يبدأ في تنظيم نفسه قبل تنظيم العالم الخارجي، كما أنّ ارتباطه بحقل المعاني، وهي المنطقة غير المرئية، فسيكون بشكل مباشر لكونه يدرك ويشكل من خلال الأشياء الخارجية، وهذا الجنين بهذه الطريقة يملك وعياً أساسياً. يبقى ما يشكل العلاقة بين الشكل العضوي والوعي هو ما سندرسه في الفصول اللاحقة خاصة أنها تمثل وجهاً من أوجه الإجراء النهائي.

الفصل الثامن: الوهم السبراني: التجسد والوجود (المادي):

ينطلق ريموند روير من مشكلة أساسية في الفلسفة وتاريخ العلم حيث يقول: "يؤدي فحص الحقائق إلى وضع الخلاف الديكارتي بين الروح التفكير والجسد بطريقة مختلفة"^{xviii}، وهي مشكلة تتعلق بمشكلة الثنائية بين الوعي والجسد، والتي نجد بلورتها على يد ديكارت الذي فرق بين الجسد والوعي (التفكير)، يؤكد ريموند روير أنه رغم التطورات في مجال العلم بخصوص اعتبار الأعضاء مجرد مجموعة من الأعضاء أو المواد أو الآلات والوعي كوعي ثانوي وأساسي، إلا أن هذا الموضوع كان محل دراسة عدد من المفكرين أمثال برتراند راسل 1872 - Bertrand russell 1970 ولايبنيث 1646 . Gottfried wilhelm 1716 . liebniz وغيرهم، ولا زالت تطرح في حقل تاريخ العلم الذي لم يقدم حلاً نهائياً بعد. يحاول ريموند روير أن يعيد خلق المجال الوجداني من خلال الطب النفسي الجسدي، والاعتماد على النظرية الجشطالتيّة والنظرية السلوكيّة، ليؤكد أن هذا التجسد سواء على مستوى الإنسان أو الحيوان أو النبات أو حتى الجماد فهو في النهاية مجرد تجسد وهمي فقط، يكون ذلك عن طريق الملاحظة المتبادلة بين الكائنات (الحية وغير الحية)، وبالتالي فالحقضية تستند للعلم بالاعتماد على الملاحظة التي تعد جزءاً منه، وليس على المعرفة التي تستحضر الميتافيزيقا في الكشف عن مثل هذه العلاقة.

إنّ التساوي الموجود بين الأعضاء والأعضاء التي تحتوي على ذاتية ووعي يخضعان لمجال آخر هو المجال المطلق أو المجال الوجداني . وهما مفهومان يخصان ريموند روير .، لترك دراسة المجال الوجداني من الشكل والنشاط للفصل القادم.

الفصل التاسع: (السطوح المطلقة) ومجالات النظرة العامة المطلق:

يستعرض ريموند روير في هذا الفصل مفهوم المجال المطلق ، وهو مفهوم خاص به. يبدأ ريموند روير في التأكيد على أنّ "اللانهائي" كلمة غير موجودة وأنّ "النهائي" هو الذي يعمل . سواء في الإنسان أو في الطبيعة أو في الإله .، وليقدم

تحليلات وتفسيرات لمفهوم النهاية، يقدم مجموعة رسوم معظمها تصور رجالاً يجلس على طاولة تحتوي على مجموعة من الأغراض، وفي كل مرحلة يقدم فكرة من أفكاره، حيث يقسم كما ذكر في السابق أنّ هناك مجموعة من الأعضاء التي هي على اتصال بالعالم الخارجي، وأطلق على الوعي فيها بالوعي الأساسي، وهو الوعي الحسي الذي يمثل الشكل في حد ذاته مع جميع الكائنات الحية، أما الوعي الثاني فهو الوعي الثانوي "أنا" الذي يكون مقطوع الصلة بالوعي الأساسي، وكلا هذين الوعيين ينتميان إلى للمجال المطلق أو السطوح المطلقة، وهي منطقة غير مرئية أي ميتافيزيقية.

إنّ فكرة السطوح المطلقة هي المجال الذي يتوقف ريموند عنده، صحيح أنّ هناك نظريات التطور التي تقول بالتسلسل، إلّا أنّها تقودنا إلى التناقض، ومن ثمّ فإنّ اللانهائي هي فكرة غير حقيقية، فحتى هذا التطور لا يخرج عن هذه الأبعاد الثلاثة. التسلسل والتناقض واللا نهائي ..

الفصل العاشر: المجال المطلق والروابط:

يؤكد ريموند روير أنّ هناك إهمالاً لقضية مهمة في تاريخ العلم والفلسفة تتعلق بالروابط أو الاتصال، مع التحفظ بخصوص بعض الاهتمام من قبل بعض العلماء في الفترة الأخيرة، فيرى أنّ المناطق المطلقة للنظرة العامة لا يمكن تفسيرها على أنّها مجرد تجمعات لأجزاء وقطع، وإنّما هناك روابط داخلية في المجال المطلق، أي هناك روابط تنقل ذلك الإحساس، ويتأكد هذا إذا اعتبرنا أنّ الوعي هو قوة ربط أي يعمل على هذا الاتصال، حسب ريموند روير فهناك فرديات وتعددية تنبثق من هذا المجال الوحدوي، نجد في هذا الموضوع اختلافاً جوهرياً بين ما قدمه ريموند وغاستون باشلار 1884-1962 Gaston bachelard حيث يعتبر قضية الاتصال والروابط هي العائق الذي منع الفكر الإنساني من الإبداع، وبالتالي يجب التخلي عن مثل هذه الاتصالية والتوجه نحو الانفتاح

لذلك يقول: "يتوجب على النفسية الإنسانية أن تعود لمهمة الإبداع والنشاط والانفتاح"^{xix} ولا يكون ذلك إلا إذا حدث انفصال في معارف بنية الفكر الإنساني. الفصل الحادي عشر: المجال المطلق والنهاية (النهائي):

يتكون الفصل من خمسة عناصر. الخصائص العامة للمجالات المطلقة في النشاط النهائي هي:

1. الأشكال المواضيعية:

يتم التعرف على الأشكال كأعضاء بالنسبة للبشر، عن طريق الوعي بالقيم، حيث يتم التعرف على الأشكال وفقا لعلاقاتها، سواء معرفة القيم بالأشكال أو العكس. الشكل المطلق هو ما يجمع البنية والفكرة، ويقدم ريموند روير كمثال لذلك المثلث حيث يقول: "المثلث كمكان هو عبارة عن ثلاثة أضلاع وهي بنية تتطابق مع المثلث في "المثالي" طالما ظل في حدود التعريف المعروف للمثلث وهو تشبيه يكافئ اللغة الأفلاطونية". إن عالم الجواهر والقيم يتم رؤيته من خلال عالم الزمان والمكان بالاعتماد على السلوك.

2. الممكن والضروري:

إنّ هذا السلوك يخضع لأمرين، فهو إما أن يكون السلوك ممكناً أي يملك عدداً من الاختيارات، أو أنّ هذا السلوك يخضع لضرورة، فيضطر للقيام بسلوك معين، وهو: "وضع طوباوي يمكن تعريفه على أنّه تمرين عقلي على الاحتمالات الجانبية للواقع. يصبح العقل في الوضع الطوباوي قوة الممارسة الملموسة، إنّهُ يستمتع بالتجربة الذهنية للإمكانات التي يراها تفيض بالواقع"^{xx} لذلك فالمجالات المطلقة هي مكان للاحتتمالات والتخمين.

3. نظرة عامة والنهاية الزمنية:

هناك عدم التماثل على مستوى الوعي الثاني، بين التحليق المكاني والتحليق الزماني في المجالات المطلقة، حيث أنّ التاريخ البشري كمثال يقدمه ريموند روير يكشف عن تغييرات حدثت نتيجة موقف معين أدى إلى تغيير الماضي بأسره

كالحرب التي قام بها هتلر، أو التعبير عن معنى جملة طويلة بكلمات بسيطة. إنّ السلوك المتخذ يكون في نفس الزمن على مستوى المطلق، من ثم يمكن لنا أن نختار ما نريد ونحدد.

4. الاختيار والعمل:

كما تأكد سابقا فإن الحرية والعمل مفهومان لا ينفصلان، كما أنّهما يفترضان رؤية القيمة والمعنى من العمل في ظل الحرية التي يتمتع بها الكائن، لكن هذا الكائن يختلف بين أن يكون إنساناً وأن يكون آلة، لأنّ الإنسان يختار حسب ما يراه مناسباً في تلك اللحظة الزمنية، في حين أنّ الآلة مبرمجة مسبقاً بمجموعة معلومات موضوعة من قبل المهندس" وأول هذه الأطروحات هو أنّ آلة المعلومات لا يمكنها الحصول على معلومات: "لا توجد معلومات في الرسالة تترك لآلة أكثر من الرسالة الموكلة إليها"^{xxi}.

5. الاتصال الذاتي والنهاي:

إنّ المجال المطلق يعتبر المفتاح لنشاط النهائي، وهما مرتبطان بشكل مباشر أو غير مباشر. حسب ريموند روير فإنّ هناك "تناغماً نهائياً" وليس "نية نهائية"، وأنّ النية النهائية تقع على عاتق الكائن. يتساءل ريموند روير فيما إذا كانت النهائية التي يستعرضها هي نهائية أفلاطون أو نهائية لايبنيز، وهي نهائية أطلق عليها مصطلح المونادا وهو المفهوم الذي يفسر من خلاله العالم والإنسان فيقول: "إنّ التجربة الباطنية تكشف لنا عن كائن روحاني، أعني جوهر، وغير قابل للتجزئة، وهو بمثابة ذرة لا جسمية، هي المونادا. وينتهي العالم بأسره مكوناً من مونادا مماثلة للمونادات التي نعثر عليها بواسطة التجربة الباطنية"^{xxii}. أو هيوم ديفيد، لكنه يميل لما قدمه هيوم على اعتبار أنّ منطقة المطلق هي مجموعة احتمالات وإمكانات ولاوجود لإله.

الفصل الثاني عشر: المنطقة العابرة للفضاء والانتقال الفردي:

يقوم ريموند روير في هذا الفصل دراسة البنية الداخلية للمنطقة العابرة للفضاء:

1 - استحضار الذاكرة والاختراع: الذاكرة والاختراع يختلفان، فالذاكرة تعني استحضار شيء من الماضي، أما الاختراع فهو شيء يتم القيام به عملياً، والمشكلة تتعلق بالاستحضار في الأمور المتشابهة أين تصبح القضية فيها تناقض، أما الجواهر والقيمة في حالتها لا يمكن تخيلها كأفكار.

2 - كفاف الاختراع: يؤكد علم النفس التجريبي أنّ الذاكرة تستحضر أو تتذكر ما يحتوى على المعنى، والذاكرة مفصولة عن الزمن، وبالتالي فهي خالدة.

3 - حدث التشابه: قضية العمل المتشابه هو التقابل بين الجوهر والذاكرة، وهذا التقابل يقوم على المشاركة.

4 - التقليد: التقليد لا يكون إلا بوجود معنى، وبالتالي فالحل يكمن في التشابه بين التقليد والذاكرة، ونجد هذا التقليد أيضاً في الأسرة والمجتمع، فالطفل يقلد والديه، ويرجع الموضوع الأخير لأسباب بيولوجية نفسية وروحية.

الفصل الثالث عشر: مستويات عبر الفضاء والنشاط النهائي:

يقول ريموند روير إنّ هناك أربع مناطق للعبر فضاء وهي:

1 - إعادة إحياء الوعي مع الأحاسيس.

2 - منطقة الذكريات النفسية الفردية.

3 - منطقة الذكريات العضوية المحددة.

4 - منطقة الجواهر والقيم.

إنّ الإنسان كان في البداية عبارة عن فكرة في عالم الجوهر، ثم يتدرج ليصبح في عالم الجسد، والدرجة الأخيرة هي الجسد الذي يملكه، وهذه الفكرة تشبه نظرية وعالم المثل التي قال بها أفلاطون في محاوراته: "يكون العلم مفطوراً في الروح قبل الميلاد أي قبل حلولها في الجسد. وهذا دليل على وجود الروح قبل اتصالها بالجسد، وإنها كانت حينئذ على شيء من الذكاء، فقد صدقت نظرية المثل" ^{xxiii}.

الفصل الرابع عشر: وجود العالم الفيزيائي والهيكل الخالي من الكون:
إنَّ العقبة الرئيسية للنَّهائي تعود لفكرة التحيز التي بموجها تكون المادة المرئية والواقعية أكثر واقعية من المعنى والأفكار والقيم، يستند ريموند روير ليؤكد فكرته حول النهائي على نتائج العلم المعاصر مع عقد مقارنات بين ما قدمه العلم في القرون الثلاثة الماضية وما أسفرت عنه الفلسفة والأفكار التي تقدم تفسيرات على ضوء نتائجها، وبين نتائج العلم المعاصر التي تؤكد على زيف الكثير من الحقائق بدءاً من الفيزياء النيوتونية التي سيطرت طيلة ثلاثة قرون، بالإضافة إلى عدد من العلوم كالفلك والبيولوجيا وعلم النفس وغيرها من العلوم. ارتكز تفسير ريموند روير على فكرة الحرية والعمل في الكائنات الحية وغير الحية، بالإضافة إلى الكون كوسيلة لإزاحة التحيز الذي يعيق فكرة النهائي.

الفصل الخامس عشر: النظريات المادية الجديدة:

يقول ريموند روير إنَّ العلم المعاصر حقق أحلام المادية القديمة، مما أظهر على السطح المادية الجديدة، لكنه ينتقد المادية الجديدة التي اعتمدت على نتائج العلم المعاصر وأبقت على بعض الأفكار التي سادت فيها المادية الجديدة والتي تظهر في أعمال نيلزبور 1885 - 1962 Niels bohr وشروندنغر 1887 - 1961 Erwin schrodinger اللذين اعتبروا الكائن الحي مكافئاً للجزيء في الفيزياء، ما يعني أنَّ هناك تفسيراً مادياً بحثاً وخالصاً للكائنات، ما يجعل النشاط النهائي غائباً أو مرفوضاً في التفسيرات المادية، وريموند روير يرجع هذا القصور إلى احتواء المادية الجديدة على بعض الأفكار المغلوطة والمأخوذة من المادية القديمة.

الفصل السادس عشر: الداروينية الجديدة والانتقاء الطبيعي:

ينتقد ريموند روير نظرية التطور، سواء في شقها القديم أم الداروينية الجديدة بدليل أنَّ: "مذهب النشوء والارتقاء قديم يرجع تاريخه إلى آلاف السنين" ^{xxiv}، فكلاهما رغم التطورات والاختلافات الموجودة بينهما، خاصة

التطورات التي حدثت على مستوى علم الوراثة يؤمنان بالصدفة والانتقاء الطبيعي، حيث يقول داروين: "يؤثر الانتخاب الطبيعي بصورة مطلقة عن طريق الاحتفاظ بالتحولات واستجماع ما يكون منها ذا فائدة في ظل الحالات العضوية وغير العضوية التي يتعرض لها الأحياء وغير الأحياء في كل أدوار الحياة، أما النتيجة النهائية فمحصّلها أنّ كل حي ينزع إلى أن يرتقي ويتهدّب شيئاً بعد شيء من حيث علاقته بالظروف التي تحيط به، وهذا التهذيب محتوم أن يؤدي إلى ارتقاء تدريجي يصيب النظام العضوي الخاص بالعديد الأوفر من الكائنات الحية وغير الحية في جميع أطراف الأرض"^{xxv}. يرتكز نقد ريموند روير في هذه النظرية على ثلاث نقاط، فكان النقد الأول على فكرة تعدد العوالم المماثلة واللا نهائية في الطبيعة والعودة الأبدية، الأمر الذي يتناقض مع نظرية النهائي عنده. والثانية تتعلق بالانتخاب الطبيعي للكائنات الحية، وهنا يختلف ريموند روير حيث يؤمن بالاختراع وليس الانتقاء، أما النقد الأخير فيتعلق بالتعقيد الذي يتميز به التطور الخاص بالكائنات، وكذلك الصدفة العمياء التي لا يؤمن بها.

الفصل السابع عشر: الداروينية الجديدة والوراثة:

في هذا الفصل يواصل ريموند روير نقده للمادية الجديدة والداروينية الجديدة، لكن هذه المرة بحجة أكثر أهمية. حيث ربطها بعلم الأجنة، حيث إنّ التطورات التي شهدتها العلم المعاصر وعلم الأجنة خصوصاً، أثبتت أنّ مبدأ الحتمية والصدفة العمياء أغلوطة من أغاليط الفكر الكلاسيكية، ويقدم ريموند روير العديد من علماء الأجنة، ويسهب في شرحه للجنين وما يطرأ عليه من تغييرات، الفكرة التي يريد تأكيدها في هذا المقام هي أنّ بنية الجين هي التركيب الذي سينتهي عليه الهيكل والشكل الخاص بالكائنات الحية.

الفصل الثامن عشر: العضوية ودينامية النهائي:

يقول ريموند روير إنّ مصطلح "الكائن الحي" غير دقيق، وبالمثل المذاهب التي تبحث في الكائن الحي، فهي إمّا تعتمد على الحتمية والنهائية أو توفق بينهما. إنّ

الكائن الحي لا يختزل في ظواهر فيزيائية أو كيميائية، أو عضوية من خلال مبدأ منفصل للحيوية أو الروح، وهي كنظرية رائجة في ألمانيا وبالتحديد عند كانط الذي قدم فكرته حول هذا الموضوع في كتابه "نقد ملكة الحكم". القضية تتعلق بمشكلة الحياة فإذا كانت السلسلة تنتهي إلى إله، فكيف تكون هناك استقلالية للكائن الحي في ظل وجود إله؟، بعد هذا السؤال يستغني ريموند روير عن فلسفات العصر الكلاسيكي خصوصاً ما قدمه كانط، وكذلك يقدم ريموند روير مثلاً يوضح الفكرة ككل من هذه القضية وهي: "يأمر قيصر ببناء جسر، فيقوم العمال ببناء الجسر، صحيح أنّ العمال هم من قاموا ببناء الجسر لكن القيصر هو من ساهم في بنائه، وانطلقت منه عملية البناء"^{xxvi} وهذا تأكيداً لفكرة أنّ النشاط النهائي يخضع لتنظيم وديناميكية. المجال المطلق يستدعي قيام جميع الأطراف بالمشاركة، والوعي يمتلك قوة، لكن قوة ميتافيزيقية وليس بالمعنى الديناميكي.

الفصل التاسع: علم النفس اللاماركي:

حاول لامارك 1744 - 1829 Jean baptiste de lamarck: "تقديم تفسير نفسي للحياة من خلال الغوص أعمق فأعمق في أصل الحياة"^{xxvii}، لكن التفسير الذي قدمه ليبرّر من خلاله كذلك النهاية، كان دافعاً لنقد نظريته من قبل ريموند الذي رفض تفسيره النفسي.

يعتبر ريموند روير أنّ ما قدمته الفيزياء قرابة الخمسين سنة الماضية تميل إلى تأكيد النهاية من منظور أفلاطوني، وليس من منظور أرسطي أو لاماركي، ليختم الفصل بتأكيد أنه الإله غير المعروف هو أصل الحياة والعالم.

الفصل العشرون: الدين في النهائي:

إنّ النظرية للاماركية (لامارك) تقول بنهاية فردية ليست كافية حسب ريموند روير، بل هي بمثل النظريات التي ترفض وتنكر وجود نهائية من أساسها، يؤكد

ريموند أنّ الميتافيزيقا حاضرة في العلم المعاصر، وأنّ الكائنات الحية تمارس النشاط النهائي، وأنها تسبح وتتحرك في فضاء أكسيولوجي منتظم.

يستعرض ريموند روير فلسفة لايبنيز و نيكولاي هارتمان 1882 - Nicolai hartmann 1950 بخصوص الإله، لكنه ينتهي معارضاً ومخالفاً لهما، فالإله الذي يصل إليه لايبنيز هو عند ريموند ضرورة للعمل، لكن لا يقوم بالعمل النهائي. هناك ثلاثية يقول بها ريموند روير وهي تلف الإله، وتتعلق بالعالم المادي والعالم العضوي والعالم العقلاني، كما يقول: "إنّ الله و العالم شيء واحد، وإنّ الله فينا نحن الكائنات. العالم مصنوع من أنشطة نهائية معقولة. "لست الله لكن ليس الله بخلاف الأنا، ولكن لأنّ الله هو أيضاً كل الآخرين، أنا ومعناها العام الإلهية تتكاثر لأغراض متعددة" ^{xxviii}.

ثالثاً - نقد وتقييم:

لقد تميز كتاب ريموند روير "النهائي الجديد" بمحاولة لبناء مشروع ميتافيزيقي قائم على العلوم المعاصرة وفي مقدمتها علم الأحياء، كما كشف الكتاب عن عدد من المفاهيم الجديدة على الساحة الفلسفية ولعل أبرزها مفهوم التحليق المطلق والمجال الوجودي وعبر الزمان والمكان. إنّ الأفكار التي تضمنها هذا الكتاب كانت محل نقد ورفض من قبل فلاسفة، ومن بينهم هؤلاء مورييس ميرلوبوني 1908 - merleau ponty Maurice 1961، و هناك من الفلاسفة من وقف من هذه الأفكار والمفاهيم موقف المؤيد أمثال الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز 1925 - Gilles deleuze 1995 سنحاول أن نقدم نقداً لبعض الأفكار الواردة في الكتاب من خلال فيلسوفين أحدهما معارض وآخر مؤيد لفكر روير.

يتناول ريموند روير قضية الكائن الحي في الفصل الثاني والثالث من الكتاب، ليؤكد من خلالها أنّ الكائن الحي يتميز بقدرة عالية على التنظيم الذاتي غير القابل للاختزال من قبل وظيفة بسيطة، وهو ما يتعارض مع ما قدمه مورييس حيث يعتبر أنّ الكائن الحي يتميز بارتباطه بعلاقات صحيح أنها بسيطة لكنها

تكون محددة مسبقاً: كلاهما يؤكد قدرة الكائن الحي على التنظيم الذاتي وتحديد الأهداف، لكن تكون غير قابلة للاختزال لوظيفة بسيطة عند روير، لكن عند ميرلوبونتي فهي تتعلق بعلاقة بسيطة محددة مسبقاً^{xxix} لقد اعتبر ريموند تحديد الغايات قائماً في الكائنات الحية في حد ذاتها، في حين اعتبر موريس ميرلوبونتي أنّ هذه التحديدات لا تتم إلا من خلال العلاقات المحددة مسبقاً، الأمر الذي يقود إلى فكرة التجسد.

يؤكد ريموند روير أنّ التجسد مجرد وهم، وهذا ما جاء ذكره في الفصل الثامن للكتاب، أما موريس فقد أعطى لمفهوم التجسد أهمية كبيرة في فلسفته، حيث جمع بين الفينومينولوجيا والأنطولوجيا لينتج من خلالهما فلسفة الجسد التي تؤكد أنّ الوجود والتواصل مع الآخر لا يتم إلا من خلال الجسد، فهو المجال الذي يحدث من خلاله المشاركة والتواصل في العالم بين الأفراد: "من خلال مفهوم الشكل يقول روير إنّ خصائص السلوك يمكن وصفها بالمعاني، لنفترض حالة تنبثق منها هذه الغايات والأهداف. روير يجعل هذه الفرضية الوحيدة الممكنة لفهم ما يحدث في الطبيعة في حين ميرلوبونتي يقول إنّ لا جدوى من افتراض وجود سلطة مرجعية مخبأة وراء الآليات الدماغية"^{xxx} مما يجعل من مشكلة التجسد أحد أهم الاعتراضات الخاصة بموريس فيقول بأكثر دقة: "عندما أقول إنّ جسدي راء، ثمة في التجربة التي لي عن ذلك الشيء ما يؤسس ويعلن رؤية الآخر له أو الرؤية التي تعكسها المرآة.. بمعنى في هذه الحالة مرئي يعود عليه ليفهمه"^{xxxi}.

أما الفيلسوف المؤيد لروير فهو جيل دولوز الذي وظّف مفهوم التحليق المطلق في أحد أهم كتبه الفلسفية التي ألفها مع فليكس غاتاري وهي "ماهي الفلسفة" حيث يقول: "إنّ التحليق هو حالة المفهوم أو لا تناهي خاص، بالرغم من أنّ المتناهيات كثيرة إلى حد ما حسب عدد المركبات، والعتبات والجسور، فيكون المفهوم بهذا المعنى بالضبط فعلاً للفكر"^{xxxii} لقد استخدم دولوز مفهوم

التحليق بمعنى الفضاء الذي تسبح فيه المفاهيم المتعددة والمختلفة، فهي مفاهيم في حالة خلق وتجدد وإبداع مستمر، وهو الشيء الذي يميّز الفلسفة حسب جيل دولوز، وقد استخدم ذلك في تحليل النصوص الفلسفية قصد استخراج المفاهيم والبحث عن المعنى

خاتمة: من خلال القراءة التي قمنا بها على هذا الكتاب "النهائي الجديد" لفيلسوف العلوم ريموند روير يمكن أن نستنتج ما يلي: إنّ النهاية هي مشكلة تتعلق بمشكلة المعنى حول الله، وليس بقضية وجوده كما ساد في المذاهب الكلاسيكية، فانطلق ريموند روير من قضية الله في الكوجيتو الديكارتي واستبداله بكوجيتو أكسيولوجي يعتمد على البحث في معنى الله وليس وجوده، قاد هذا الاعتقاد ريموند روير إلى القول: إنّ هناك نهائية عالمية تعمل، لكن هذه النهائية ليست الله، فهو يعتبر حضور العالم هو حضور الله، وحضور الله يقتضي وجود العالم، وهذه النهائية تتميز بأوصاف قدمها ريموند روير في مجموعة مفاهيم هي: الحرية و النشاط و العمل والاختراع و القيمة و النهاية والوجود.

يستعرض ريموند روير النشاط النهائي في الكائنات الحية وغير الحية على المستوى المادي، وهو ما تعلق بالنشاط العضوي عند الإنسان والحيوانات، والتي أكد على إثرها أنّ العملية تتم بطريقة بيولوجية بحتة، لكن ريموند يعتبر التجسد الخاص بالكائنات هو وهم وليس حقيقة، وأنّ النهاية تعمل بطريقة داخلية وهي ما تعلق بالوعي، وبطريقة خارجية وهي ما تعلق بالأدوات كالأعضاء والآلات، أما الوعي فيقسمه ريموند روير إلى نوعين هما: الوعي الأساسي والوعي الثانوي.

يعتبر ريموند روير أنّ هناك تدرجات تنتهي بالمجال المطلق، التي تحلق الأفكار فيه تحليقاً مطلقاً ويكون فيها الزمان والمكان هو عبر المكان والزمان، وهو عالم القيم والمعاني والأفكار، ويمكن تشبيه هذا العالم بعالم المثل الأفلاطوني، وهناك

العالم الخارجي وهو العالم المادي الذي تنتقل فيه تلك المعاني وتتجسد في هذا الواقع، لكن يقر ريموند في النهاية بوجود مجال وحدوي يحتوي على كل هذه العوالم. ينتقد ريموند روير النظريات والمذاهب التي تنكر أو تقدم تفسيراً معيناً لنهاية، كالمادية الجديدة، والداروينية الجديدة، وعلم النفس للاماركي.

الهوامش:

ⁱفيرنر هيزنبرغ، الفيزياء والفلسفة ثورة في العلم الحديث، تر: خالد قطب، مؤمن قریش، القاهرة، مصر ، ط1، 2014، ص16.

ⁱⁱنظرية النسبية: هي النظرية التي وضعها أينشتاين على مرحلتين إحداهما مرحلة النسبية الخاصة 1905 والتي تقر بأنّ الزمان والمكان نسبيان، أي منسوبان إلى حركة الملاحظ، ونظرية النسبية العامة 1913 تفسر جميع ظواهر العالم المادي، بالخواص المحلية للمتصل المكاني - الزماني: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ج2، ص280.

ⁱⁱⁱ Jacques carbou : la critique sociale de Raymond Ruyer, sociale, université paris3, paris, français, 2012, pp46_47 .

^{iv} Raymond Ruyer : néo-finalisme, Gallimard, paris, français , t1, 1952, p1.

^vرونيه ديكارت: مقال في المنهج، تر: محمود محمد الخضير، دار الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1968، ص.ص 154. 155.

^{vi}المرجع نفسه، ص156.

^{vii}جون بول سارتر: الوجود والعدم. بحث في الأنطولوجيا الظاهرية.، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1966، ص21.

^{viii} Raymond Ruyer : néo-finalisme, pp5-6.

^{ix} Ibid, p6.

^x Op.cit, p8.

^{xi} Raymond Ruyer : philosophie de la valeur, Armand colin, paris, français, t1, 1952, p120 .

^{xii} Jean Claude dumoncel : Ruyer : néo-finalisme- ruyer1952selon l'ordre des raisons, (en ligne), article disponible sur le site électronique : <http://www.philophism.,philopsis, fr>, 21, aout 2020.

^{xiii} هنري برغسون: الطاقة الروحية، تر: علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص. 178. 179.

^{xiv} Raymond Ruyer : la cybernétique et l'origine de l'information, Flammarion, Paris, français , t1, 1954, p14.

^{xv} ibid, P35

^{xvi} ibid, P28

^{xvii} Op.cit , P23

^{xviii} ibid.P80

^{xix} غاستون باشلار: فلسفة الرفض، تر: خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص147.

^{xx} Raymond Ruyer : l'utopie et les utopies, Gérard Montfort, paris, français, t1, 1950 , p9 .

^{xxi} Raymond ruy :la cybernétique et l'origine de l'information, Flammarion, paris, français, 1945, p13.

^{xxii} غوتفريد فيلهلم لايبنيوز: المونودولوجيا، تر: ألبير نصري نادر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص. 21. 22.

^{xxiii} أفلاطون: محاورات أفلاطون، تر: زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص245.

^{xxiv} تشارلز داروين: أصل الأنواع، تر: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2018، ص11.

^{xxv} المرجع نفسه، ص253.

^{xxvi} Raymond ruyer, néo-finalisme, p223.

^{xxvii} ibid, 228.

^{xxviii} Raymond ruyer, néo-finalisme, p245.

^{xxix} Samarkand Elias: penser l'esprit et le vivant avec Raymond Ruyer, étude sur l'actualité des analyses da Ruyer en neurologie et biologie aujourd'hui, mémoire de master2 , jean Jaurès, université toulouse, 2017, p46

^{xxx} ibid, p46.

^{xxxi} موريس ميرلو بونتي: المرئي واللامرئي، تر: عبد العزيز العيادي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص405.

^{xxxii} جيل د ولوز، فليكس غيتاري: ماهي الفلسفة، تر: مطاع صفدي، مركز الإنماء، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص46

قائمة المصادر والمراجع:

1 / المصادر باللغة الفرنسية:

1- Raymond Ruyer : néo-finalisme, Gallimard, paris, français , t1, 1952.

- 2- Raymond Ruyer : philosophie de la valeur, Armand colin, paris, français, t1, 1952 .
3- Raymond Ruyer : la cybernétique et l'origine de l'information, Flammarion, Paris, français , t1, 1954. 4-Raymond Ruyer : l'utopie et les utopies, Gérard Montfort, paris, français, t1,1950.

2 / المراجع باللغة العربية:

1. أفلاطون: محاورات أفلاطون، تر: زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
2. تشارلز داروين: أصل الأنواع، تر: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2018.
3. جيل دولوز، فليكس غيتاري: ماهي الفلسفة، تر: مطاع صفدي، مركز الإنماء، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ج2.
5. جون بول سارتر: الوجود والعدم. بحث في الأنطولوجيا الظاهرية..، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1966.
6. روني ديكارت: مقال في المنهج، تر: محمود محمد الخضير، دار الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1968.
7. غوت فريد فيلهلم لايبنيز: المونودولوجيا، تر: ألبير نصري نادر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
8. غاستون باشلار: فلسفة الرفض، تر: خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
9. فيرنر هيزنبرغ، الفيزياء والفلسفة ثورة في العلم الحديث، تر: خالد قطب، مؤمن قريش، القاهرة، مصر، ط1، 2014.
10. موريس ميرلو بونتي: المرئي واللامرئي، تر: عبد العزيز العيادي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
11. هنري برغسون: الطاقة الروحية، تر: علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

3 / البحوث الجامعية:

- 1 -Jacques carbou : la critique sociale de Raymond Ruyer, sociale, thèses doctora, université paris3 , paris, français, 2012.
- 2 -Samarkand Elias: penser l'esprit et le vivant avec Raymond Ruyer, étude sur l'actualité des analyses da Ruyer en neurologie et biologie aujourd'hui, mémoire de master2 ,jean Jaurès, université Toulouse, paris, français, 2017.

4/المواقع الإلكترونية:

- 1 -Jean Claude dumoncel : Ruyer : néo-finalisme- ruyer1952selon l'ordre des raisons, (en ligne), article disponible sur le site électronique : <http://www.philophism.,philopsis, fr>, 21, aout 2020.